

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م / ذو القعدة ١٤٤٣ هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢

ISSN. 1815-8854

تاريخ قبول النشر: ٢٠٢٢/٢/٢٠

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢١ / ١٢ / ٢٠

موقف سنجار السياسي من الموصل
خلال كتاب زبدة الحلب لأبن العديم
(ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م)

Sinjar's political position on Mosul through
Ibn al-Adim's book Butter of Alepp
(d. 660 AH / 1262 AD)

م. د. صهيب حازم عبد الرزاق الغضنفر
العراق

جامعة الموصل

مركز دراسات الموصل / قسم الدراسات التاريخية والأجتماعية
الاختصاص الدقيق: تاريخ عباسي

Lect. Dr. Suhaib Hazim Abdul Alrazzaq Alghadanfary,
UNIVERSITY OF MOSUL
Center for Mosul Studies, Department of Historical Studies
Specialization: Abbasian History

ملخص البحث:

يهدف البحث الموسوم موقف سنجار السياسي من الموصل خلال كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب لأبن العديم (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) إلى دراسة ماتضمنه الكتاب من أخبار عن الموقف السياسي لسنجار من الموصل. إذ تضمن البحث سيرة أبن العديم، ومعلومات عن الكتاب وظروف تأليفه، كما تضمن الموضوع الأساسي وهو الموقف السياسي لسنجار من الموصل بالإستناد إلى النصوص الموجودة في كتاب زبدة الحلب والتي تناولت الموضوع في حقبة تاريخية مختلفة، وفي عهود مختلفة، كان المؤلف أبن العديم قد ذكرها. فضلاً عن ذلك فقد تناول البحث موارد المؤلف التي اعتمد عليها من سبقه من المصنفين، فمنهم من اعتمد عليه في أخباره عن سنجار وموقفها السياسي من الموصل، ومنهم من اعتمد عليه في التسلسل التاريخي للأحداث، ومنهم من اعتمد عليه في تعريف المناطق المذكورة في الكتاب ككتب البلدان.

الكلمات المفتاحية: سنجار، العديم، الأيوبي، الزنكيين، موقف.

Abstract

The research tagged with Sinjar's political position on Mosul through Ibn al-Adim's book Zubdat al-Hallab by Ibn al-Adim (d. 660 AH / 1262 CE) aims to study the news included in the book Zubdat al-Haleb in the history of Aleppo about Sinjar's political position on Mosul. A study of the biography of Ibn al-Adim, information about the book and the circumstances of its authorship. It also included the main topic, which is the political position of Sinjar from Mosul, based on the texts in the book Butter of Aleppo, which dealt with the subject in different historical eras, and in different eras, which the author had mentioned by Ibn al-Adim. In addition, the research dealt with the author's resources that were relied upon by those who preceded him from among the compilers, some of them relied on him for his news about Sinjar and its political position on Mosul, and some of them relied on him in defining the regions mentioned in the book as books of countries.

Key words: Sinjar, Aleadim, Ayyubid, Alzankyeen, Mawqif

المقدمة

لقد تناول البحث موضوعاً ذا طابعين تاريخي وسياسي، ذلك لأنه اختص بالمواقف السياسية بين مدينتين متجاورتين خلال حقبة مختلفة، وقد تحدت تلك الحقبة ضمن إطار كتاب زبدة الحلب الذي تناول المواقف السياسية بين المدينتين من خلال نصوصه، والتي تضمنها الكتاب في ضوء دراسة تلك الحقبة وهي حقبة الحكم الزنكي لمدين عديدة وواسعة ومنها مدينتي الموصل وسنجار. وقد وقع الاختيار على كتاب (زبدة الحلب من تاريخ حلب) لصاحبه كمال الدين

عمر بن أحمد بن أبي جرادة المعروف بأبن العديم(ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، وذلك لأنه تخصص بدراسة تاريخ حلب وهي المدينة الثانية من حيث الحجم والأهمية بالنسبة للدولة الزنكية التي شهد عصرها أهم صور علاقاتها مع مدينة الموصل، وهي بمثابة العاصمة الثانية للدولة الزنكية بعد الموصل، فضلاً عن أن النصوص الخاصة بالدولة الزنكية غالباً ما تتناول أخباراً مشتركة بين الموصل وحلب، ومن تلك الأخبار ما يخص مدينة سنجار التي تتوسط المدينتين من حيث الطريق من ناحية، ولكون سنجار قضيةً سياسية مهمة كانت موضعاً للجدل وكادت أن تكون موضعاً للخلاف بين الموصل وحلب في حقبة ما، إلا أن قوة الدولة الزنكية آنذاك والعلاقة الصادقة بين أميري المدينتين قد منع وقوع ذلك الخلاف وأعاد اللحمة والتوافق بين المدينتين وأميريتهما، فضلاً عن أن الكتاب كان قد تناول من خلال أخباره أغلب مدن الجزيرة الفراتية لقرنها من حلب التي اختصَّ بها الكاتب.

تضمن البحث تمهيد وثلاثة محاور وخاتمة، تناول التمهيد: تعريفاً لسنجار وما ذكره عنها أبن العديم في كتابه، والسبب الذي دفعه لتناولها، والعصور التي تناولها فيها والدافع إلى ذلك، مع ذكر بعض المواقف السياسية من قبل سنجار تجاه الموصل. أما المحور الأول فقد تناول نبذةً عن أبن العديم وكتابه بغية الطلب من حيث طبيعة المادة وموارده في الكتاب. في حين تناول المحور الثاني المتغيرات السياسية بين الموصل وسنجار في عصر الدولة الزنكية فيما يتعلق بالأمراء الزنكيين الذين تعاقبوا على حكمها، واختلاف العلاقات بين المدينتين باختلاف حاكمي المدينتين. في حين تناول المحور الثالث الوضع السياسي في سنجار بعد انتهاء الحكم الزنكي فيها. أما الخاتمة فقد تناولت ملخص البحث وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

التمهيد

لقد كان لمدينة سنجار التي تُعدُّ إحدى مدن الجزيرة الفراتية حجماً في كتاب زبدة الحلب لأبن العديم (ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، وذلك في جزئيه الثاني والثالث، فالمدينة ذات أهمية في التاريخ الإسلامي بشكل عام ومن خلال موقفها السياسي من الموصل بشكل خاص، وقد كان ذلك تبعاً للعلاقات التي كانت قائمة بين المدينتين لدوافع سياسية خلال العصرين السلجوقي ومن بعده الزنكي، ففي العصر السلجوقي وقبل قيام الدولة الزنكية كان موقف سنجار من الموصل سلبياً، إذ أنه وفي عهد جكرمش أمير الموصل، قام رضوان بن تتش ملك حلب في رمضان من العام ٤٩٩هـ/أيار ١١٠٦م، بمحاصرة نصيبين التابعة للموصل، عندما أشار له بذلك الأمراء الذين رافقوه، وهم ايلغازي بن ارتق^(١) (٥١١-٥١٦هـ/١١١٧-١١٢٢م)، وألبي بن ارسلان تاش صاحب سنجار^(٢).

(١) ايلغازي بن ارتق: وهو أمير ارتقي وأبن ارتق بن أكسب مؤسس الدولة الأرتقية، وكان ايلغازي أميراً لماردن، ابو الحسن علي بن ابي الكرم عز الدين مُجَّد بن مُجَّد الشيباني أبن الاثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق: عبد القادر احمد طليعات، (بغداد، مكتبة المثنى، ١٩٦٣)، ص ١٨.

أما بعد قيام الدولة الزنكية في الموصل فقد كانت المدينتان تحكمان من قبل العائلة الزنكية لذلك فقد شمل الكتاب في جزئيه الثاني والثالث فقط مواقف سنجار من الموصل لأن الجزئين كانا يغطيان تاريخ مدينة حلب في العصر الزنكي الذي شهد ظهور دور الموصل مما أسهم في بروز سنجار في الكتاب لما يربطها مع الموصل من خلال مواقف سياسية لخضوعها للحكم الزنكي، ولقربها من الموصل إذ أن أمراء سنجار كانوا من البيت الزنكي وتحديدًا من أبناء أمير الموصل قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي وقد كان ذلك بشكل خاص حينما بلغت الدولة الزنكية ذروة قوتها في عصر الملك العادل نور الدين محمود (٥٤١-٥٦٩ هـ / ١١٤٦-١١٧٤ م)، إذ تمكن من جعلها تحت إدارته ومن ثم تنازل عنها لأخيه قطب الدين مودود أمير الموصل ومن ثم لابنائه وأحفاده^(٣). وبعد نهاية الدولة الزنكية بدأ التنافس على سنجار بين بدر الدين لؤلؤ والأيوبيين فهما القوتان الأقرب إليها.

أولاً- نبذة عن المؤلف وكتابه بغية الطلب:

وهو الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة ويعرف بأبن العديم ولد في حلب في ٢٢ شعبان من العام ٥٨٨ هـ / ١ كانون الأول ١١٩٢ م في حلب^(٤)، وهو مؤرخ ومصنف قد ظهرت مواهبه منذ أعوام حياته الأولى، فقد درس العلوم الدينية وحفظ القرآن الكريم، ودرس مبادئ اللغة العربية، وسمع عن شيوخ مدينته في علوم السنة والفقهِ^(٥)، فضلاً عن كونه مؤرخاً. وقد كانت معارفه واسعة لانتماؤه إلى عائلة تتمتع بمكانة رفيعة، وقد وصف بأنه أعظم مؤرخ أنجبته بلاد الشام في تاريخها الإسلامي، وهو غزير المعرفة، وافر الإنتاج، موسوعي المعارف، وفضلاً عن ذلك فقد نصحه والده باحتراف الخط، لأن خطه (أي والده) لم يكن جميلاً، فلم يرد أن يواجه أبنه نفس المشكلة، فتعلم الخط وأتقنه^(٦). وكان والده راغباً في أن يجعله ملماً بكل جوانب الحياة لذلك فقد كان يصحبه معه في أسفاره، ومنها رحلاته إلى

(٢) أبو الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين محمد بن محمد الشيباني أبن الاثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م)، ٩: ٩٢.

(٣) أبن الأثير، الباهر، ص ٩٢؛ كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله أبن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م)، زبدة الحلب، تحقيق: سامي الدهان، (دمشق، المعهد الفرنسي، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٨ م)، ٢: ٢٩٦.

(٤) أبو العدل زين الدين قاسم ابن قطلوبغا (ت ٨٧٩ هـ / ١٤٧٤ م)، تاج التاجم في طبقات الحنفية، (بغداد، مطبعة العاني / ١٩٦٢ م)، ص ٤٨.

(٥) أبن العديم، زبدة الحلب، ١: ١٩٧؛ أحمد فوزي الهيب، الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء (٥٧٩-٦٥٨ هـ)، (الكويت، بلا، ١٩٨٧ م)، ص ٥٤؛ نجلاء سفيان أحمد، كمال الدين بن العديم مؤرخاً للحروب الصليبية/ رسالة ماجستير، (جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م)، ص ١٨.

(٦) عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم أبن شداد (ت ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م)، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكي عبارة، (دمشق، منشورات دار الثقافة، ١٩٩١)، ١: ١١٣.

دمشق وبيت المقدس والحجاز والعراق، وكان لرعاية والده به الفضل الكبير له، إذ أنه حينما بلغ سن الشباب وجد السبل أمامه متيسرة لتلقي العلوم وبالتالي بلوغه مكانة لامعة^(٧).

كان جدّه الأعلى والمعروف بأبن أبي جرادة ينتسب إلى قبيلة إحدى كبريات قبائل عامر بن صعصعة العدنانية، وعاش في البصرة هو وأبنائه وأحفاده، وكان صاحباً للخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب عليه السلام، عاش هو وأولاده وأحفاده في البصرة، وفي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي هاجر أحد أفراد عائلة أبي جرادة وهو (موسى بن عيسى) إلى الشام لغرض التجارة، واستوطن في حلب وهي المدينة التي تربط الشام بمدخل العراق ومن ثم المشرق من جهة، وآسيا الصغرى وبيزنطا من جهة أخرى، وأنشأ أسرة فكانت حلب نواةً لنشوء أسرة عريقة تميّزت بكثرة أعلامها، ومكانتها الاجتماعية، وأملاكها، وثروتها وشهرتها. وكان لها دورٌ في جميع الميادين في المدينة كالسياسة والقضاء والاقتصاد والإدارة^(٨)، وبقيت هذه الأسرة الأشهر والأعرق في حلب وبقيت محتفظةً بأسمها حتى بعد تدمير حلب من قبل المغول، وكان سبب تسمية العائلة بالعدم غير معروف، وكانت العائلة على المذهب الشيعي حتى بدأ هذا المذهب بالانحسار في حلب في عهد السلطان السلجوقي ألب أرسلان، فتحوّلت إلى المذهب السني^(٩). وقد صاهر كمال الدين أبن العديم الشيخ الحلبي بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله المعروف بأبن العجمي وهو شيخ الشافعية في حلب وله منزلة سياسية ودينية واجتماعية كبيرة فيها^(١٠).

كان أبن العديم يحظر مجالس الظاهر غازي أمير حلب (٥٨٣هـ-٦١٣هـ/١١٨٧-١٢١٦م) بن السلطان صلاح الدين الأيوبي وكان الظاهر يحل أبن العديم أكثر من غيره ويكرمه. وفي ذي الحجة من العام (٦١٦هـ/١٢١٩م) تولى أبن العديم التدريس في مدرسة شاذنبخت أو المدرسة الشاذنبختية^(١١)، وهو أوّل عمل يتولاه أبن العديم، وبعدها تولى التدريس في المدرسة الخلاوية^(١٢) وهي المدرسة الأجل في حلب ووُجد في أعلى أحد جدرانها لوحة حجرية كتبها أبن العديم بنفسه^(١٣)،

(٧) المصدر نفسه، ٣: ١: ٢٣٨-٢٣٩؛ عماد الدين اسماعيل أبو الفداء أبن كثير (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، البداية والنهاية، (الجزية، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ١٣: ٢٨٢؛ مُجَدِّد رَاغِب بن محمود بن هاشم الطباطح الحلبي (ت ١١٤٠هـ/١٧٢٧م)، اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تعليق: مُجَدِّد كَمَال، (حلب، دار القلم العربي للنشر، ١٩٨٨م). ٤٠: ٣٢٠؛ أبن العديم، زبدة الحلب (مقدمة المحقق)، ١: ١٤؛ أحمد، أبن العديم مؤرخاً، ص ١٥.

(٨) أبن العديم، زبدة الحلب، (مقدمة المحقق)، ١: ١٤.

(٩) أبن كثير، البداية والنهاية، ١٣: ٢٨٢.

(١٠) المصدر نفسه، ١٣: ٢٨٢.

(١١) وهي من أجل المدارس في حلب، وهي واحدة من ست مدارس بناها الزنكيون في حلب، أبو الحسين مُجَدِّد بن أحمد الكتاني ابن جبير، (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، (بيروت، دار صادر، د.ت)، ص ٢٢٨.

(١٢) وهي المدرسة الأصلية في حلب، وبنيت في عهد الملك العادل نور الدين محمود في حلب، ووُجد في أعلى أحد جدرانها لوحة حجرية كتبها أبن العديم بنفسه، وقد تَوَلَّى بنائها القاضي فخر الدين ابو المنصور مُجَدِّد بن عبد الصمد بن الطرسوسي الحلبي، أبي ذر الحلبي سبط

إذ كان يدرّس العلوم التي تعلمها وهي علوم القرآن والسنة والفقه^(١٤). وقد علت مكانة ابن العديم في حلب وذاع ذكره لدى ملوك الدول المجاورة في الشام والخليفة في بغداد، وكان كلما زار بلداً أصبحت مكتباتها ووثائقها تحت اطلاقه وتصرفه^(١٥)، فأفاده ذلك في تأليفه لكتبه^(١٦). فضلاً عما تقدم فإن ابن العديم قد نبغ في الجانب الإداري والسياسي أيضاً لذلك فقد وصل إلى مرتبة وزير، ولم يشغله ذلك عن كتاباته^(١٧) لذلك فقد وصف بأنه خير من مثل الحضارة العربية والثقافة الشامية قبل دخول المغول إلى حلب^(١٨). أما بعد دخول المغول بقيادة هولاكو إلى حلب في العام (١٢٥٩/٦٥٧م) فقد هاجر ابن العديم إلى دمشق ثم غزة ثم القاهرة، وبعد انتصار المسلمين على المغول في معركة (عين جالوت) في العام (١٢٦٠هـ/١٢٦٠م) عاد ابن العديم إلى دمشق ثم حلب وعرض عليه هولاكو منصب قاضي حلب فرفض ذلك وعاد إلى القاهرة وبقي فيها حتى توفي في العام (١٢٦٢هـ/١٢٦٢م)^(١٩).

__كتبه:

كان لأبن العديم كُتُبٌ عديدة منها ما هو مفقود ومنها ما هو حاضر، فالمفقود منها:

١. كتاب الأخبار المستفادة وهي في ذكر بني جرادة: وضع ابن العديم تليّةً لرغبة ياقوت الحموي لأنه أراد أن يترجم لأبن العديم وأسرته^(٢٠).

-
- أبن العجمي (ت٨٨٤هـ / ١٤٧٩م)، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق: شوقي شعث وفالح البكور، (حلب، دار القلم العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م)، ١: ٣٣٩-٣٤١.
- (١٣) أبي الفضل مُجّد بن مُجّد بن مُجّد بن الشهاب غازي الحلبي المعروف بأبن الشحنة (ت٨٩٠هـ / ١٤٨٥م)، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله درويش، (دمشق، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م)، ص ١٠٣.
- (١٤) قطب الدين أبي الفتح موسى بن مُجّد بن أحمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان (حيدر آباد : ١٩٥٤)، ٢: ١٨٧؛ أحمد، أبن العديم مؤرخاً، ص ٢١.
- (١٥) شمس الدين مُجّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الارنؤوط ومُجّد نعيم العرقسوسي، (بيروت، الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ٢٢: ٢٥٥.
- (١٦) الطباخ، أعلام النبلاء، ٤: ٤٦٧-٤٦٨؛ أبن العديم، زبدة الحلب، (مقدمة المحقق)، ١: ١٧.
- (١٧) المصدر نفسه، (مقدمة المحقق)، ١: ١٨.
- (١٨) المصدر نفسه، (مقدمة المحقق)، ١: ١٣.
- (١٩) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الشافعي أبو شامة (ت٦٦٥هـ / ١٢٦٧م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تعليق: ابراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ص ٣٣١؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢)، ٤: ٢٢٢.
- (٢٠) ياقوت شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم الأدباء، (بيروت، دار التراث العربي، د.ت)، ١٦: ٣٥.

٢. كتاب ضوء الصباح في الحث على السماح: وهو كتاب تاريخي، صنفه للملك الأشرف موسى الأيوبي موسى بن العادل (٥٩٠هـ - ٦٣٤هـ / ١١٩٤ - ١٢٣٧م) صاحب المدن الجزرية^(٢١).
 ٣. كتاب في الخط وعلومه ووصف آدابه وأقلامه وطروسيه: وقد وضعه لتوضيح فن الخط وأصوله، وهو من كتب الخط العربي وعلومه، فضلاً عن أنه يضم الحديث والحكم^(٢٢).
 ٤. وهو من مؤلفاته المخطوطة.
 ٥. كتاب تذكرة ابن العديم: وقد ذكر فيه أحسن ما قرأه من النوادر والأشعار والأخبار والحوادث التاريخية^(٢٣).
 ٦. كتاب بلوغ الآمال مما حوى الكمال: وهو من الكتب الادبية، ويضم مجموعة من القصائد والموشحات التي رُتبت حسب الحروف الهجائية^(٢٤).
- أما كتبه المطبوعة، فهي:**
١. كتاب الوصلة إلى الحبيب في وصف الطبيات والطبيب: وهو كتاب خصه بالأعشاب^(٢٥).
 ٢. كتاب الدراري في ذكر الدراري: وقد خصه بأخبار الأبناء وكيفية التعامل معهم، وأهداه للملك الظاهر غازي بمناسبة ولادة ابنه الملك العزيز^(٢٦).
 ٣. كتاب الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري، وقد ألفه للدفاع عن أبي العلاء المعري ضد من اتهموه بالإلحاد^(٢٧).
 ٤. كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب: وكتب بخطه، وهو من أضخم كتبه، وقد اختص بتاريخ حلب، ومن المرجح أنه أسماه بغية الطلب لأنه وضع فيه الأخبار الكثيرة والدقيقة عن مدينة حلب، وطوبوغرافيتها، وسكانها. وقد وضعه تلبية للظاهر غازي أميرها^(٢٨).

(٢١) محمد بن شاكر الكتيبي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عبد القدوس، (بيروت، دار صادر، د.ت)، ٣: ١٢٧.

(٢٢) الحموي، معجم الأدباء، ١٦: ٤٥؛ أحمد، ابن العديم مؤرخاً، ص ٥٠.

(٢٣) الحلبي، أعلام النبلاء، ٤: ٤٩٤.

(٢٤) كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي، (القاهرة، مطبعة دار المعارف / ١٩٧٤م)، ٦: ٧٨؛ أحمد، ابن العديم مؤرخاً، ص ٥١.

(٢٥) أحمد، ابن العديم مؤرخاً، ص ٥٠.

(٢٦) الكتيبي، فوات الوفيات، ٣: ١٢٧.

(٢٧) المصدر نفسه، ٣: ١٢٧ - ١٢٨؛ أحمد، ابن العديم مؤرخاً، ص ٥٠.

(٢٨) عماد الدين اسماعيل بن محمد صاحب حماء أبي الفداء (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، المختصر في اخبار البشر، تعليق: محمود ديب، (بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م)، ٢: ١٣٢؛ أحمد، ابن العديم مؤرخاً، ص ٥٧؛ ابن العديم، زبدة الحلب، (مقدمة المحقق)، ١: ١٨.

٥. كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب: يعد الكتاب منتزِع ومستخلص من كتاب بغية الطلب، لذلك سُمِّي الأول البغية لضخامته وشموله كما سبق ذكره،^(٢٩) في حين سُمِّي الثاني زبدة الحلب لأن الزبدة هي المختصر والخالصة^(٣٠). إلا أن منهجية الأول تختلف عن منهجية الثاني، فبغية الطلب يضم تراجم للشخصيات الحلبية، ومن جاء إلى حلب من خارجها وحسب الحروف الهجائية دون ذكر الأعوام التي جاؤوا فيها، أو ذكر أعوام الحوادث، في حين كان في زبدة الحلب ذِكْرُ لأخبار حلب ودولها وما يتعلق بها وفق المنهج الحولي^(٣١). والكتابان هما من المصادر المهمة في تاريخ حلب.

تحقق كتاب زبدة الحلب من قبل سامي الدكّان وطُبع بدمشق في ثلاثة أجزاء، نشر الجزء الأول في دمشق في العام (١٩٥١م)، ونُشر الجزء الثاني في دمشق في العام (١٩٥٤م)، فيما نُشر الجزء الثالث في دمشق أيضاً في العام (١٩٦٨م)^(٣٢).

لقد حرص أبْنُ العديم على تغطية تاريخ مدينة حلب وما مرَّ عليها من أحداثٍ وتداولت عليها الدول في زبدة الحلب، وكان ذلك ضمن الأجزاء الثلاثة للكتاب، فبدأ بسرد أحداثها منذ التاريخ القديم ثم التاريخ الإسلامي وفتح حلب وأول من ملكها، وانتهاءً بهزيمة التتار نتيجة مقاومة الحلبيين في العام (٦٤١هـ/١٢٤٣م).

تضمن الجزء الأول تاريخ حلب منذ قديم الزمان، وأن أسم حلب هو عربي، وأُطلق عليها هذا الأسم لأن إبراهيم عليه السلام كان كريماً ومضيفاً، وخلال وجوده في منطقتهما وبالقرب من أحد تلوهما كان يضع حاجياته الثقيلة بالقرب من ذلك التل، وكان يُبْنِي رِعاءه إلى نهر الفرات الذي تُطلُّ المدينة على ساحله الغربي، ومقامه بالقرب من ذلك التل كان يجمع الرعاء في نطاق ذلك التل ومعهم الأبقار والأغنام والماعز، وكان الفقراء يأتون إليه لينالوا من برّه، فكان يأمر الرعاء بحلب أغنامهم وأبقارهم طربي النهار، ونقله إلى أطراف التل، فإذا سَمِعَ الفقراء بذلك قالوا: " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلَبٌ " ويأتون إليه^(٣٣). فبدأ الجزء الأول بهذا الخبر وانتهى بأخبار العام (٥٢١هـ/١١٢٧م) وهو العام الذي انتهت فيه دولة الأراتقة في حلب وتوجهت جيوش الأمير عماد الدين زنكي لإملاكها بعد الموصل. أما الجزء الثاني فقد تضمن حوادث الأعوام (٤٥٧/١٠٦٥م) حتى العام (٥٦٩هـ/١١٧٤م)، إذ تناول في هذا الجزء شمال سوريا وليس حلب فقط، لأنه ضمنه دولة بني مرداس، والدولة

(٢٩) كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله أبْنُ العديم (ت ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، د.ت)، ١٠: ٤٣١٧.

(٣٠) المصدر نفسه، ١٠: ٤٣١٧؛ أحمد، أبْنُ العديم مؤرخاً، ص ٧٠؛ أبْنُ العديم، زبدة الحلب، (مقدمة المحقق)، ١: ٢٠.

(٣١) ينظر صهيب حازم عبد الرزاق، العلاقات بين الموصل وحلب في عصر الأتابكية الزنكية (٥٢١-٥٧٩هـ/١١٢٧-١١٨٣م) / اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة الموصل، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م)، (المقدمة) ص ٦.

(٣٢) أبْنُ العديم، زبدة الحلب، (مقدمة المحقق)، ١: ٢٠.

(٣٣) المصدر نفسه، (مقدمة المحقق)، ١: ٣٣.

العقيلية، والسلطان السلجوقي ملك شاه (٤٦٥-٤٨٥ هـ / ١٠٧٣-١٠٩٣ م)، ورضوان بن تنش (٤٨٧-٥٠٧ هـ / ١٠٩٤-١١١٣ م)، وألب أرسلان بن رضوان (٥٠٧-٥٠٨ هـ / ١١١٣-١١١٤ م)، وأيلغازي بن أرتق (٥١١-٥١٦ هـ / ١١١٧-١١٢٢ م)، وعماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية (٥٢١-٥٤١ هـ / ١١٢٧-١١٤٦ م)، ونور الدين زنكي (٥٤١-٥٦٩ هـ / ١١٤٦-١١٧٣ م) حتى وفاته. أما الجزء الثالث فقد بدأ بالعام (٥٦٩ هـ) وخلافة الملك الصالح أسمعيل (٥٦٩-٥٧٧ هـ / ١١٧٣-١١٨١ م) بن الملك العادل نور الدين محمود لوالده بعد وفاته، وقيام دولة السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩-٥٨٩ هـ / ١١٨١-١١٩٣ م) بعد وفاة الملك نور الدين محمود وانتهى بالعام (٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) وعهد الملك الناصر بن العزيز الأيوبي (٦٣٤-٦٥٨ هـ / ١٢٣٧-١٢٦٠ م) وهزيمة التتار.

أما عن مدينة سنجار فإن ابن العديم لم يتطرق إليها في الجزء الأول من زبدة الحلب، بل ذكرها في الجزئين الثاني والثالث، وقد بلغ عدد النصوص الخاصة بسنجار ثمانية وعشرون نصاً، وقد عرفها بأنها: "مدينة مشهورة من مدن الجزيرة (ويقصد بها الجزيرة الفراتية) بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي في لُحْفِ جبلٍ عالٍ"^(٣٤).

ومن موارد ابن العديم في أخبار سنجار:

١. كتاب ذيل تاريخ دمشق لأبن القلانسي: وقد أفاد منه ابن العديم في أخبار سنجار وعلاقتها بالموصل في العصر الزنكي وتحديداً في عهدي الأمير عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية، وأبيه الملك العادل نور الدين محمود، إذ توفي ابن القلانسي في العام (٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)، أي في عهد الملك نور الدين محمود.
٢. استعان ابن العديم بكتاب معجم البلدان للحموي في تعريف المدن والأماكن حين ورودها في النصوص الخاصة بسنجار.
٣. كتاب الكامل في التاريخ لأبن الأثير، وقد أفاد منه ابن العديم في كُلِّ ما يتعلق بمدينة سنجار، وما طرأ عليها من أخبارٍ تتعلق بأمرائها وعلاقاتها السياسية مع غيرها من المدن، وكتابه الآخر اللباب في تهذيب الأنساب، لتحري أنساب الشخصيات الموجودة في الكتاب في الموضوع ذاته.
٤. بغية الطلب في تاريخ حلب، فمن المرجح أن ابن العديم قد نقل أخبار كتاب زبدة الحلب من كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب^(٣٥)، وهذا فيما يخص الشخصيات الحلبية والواردة في إلى حلب والتي ذكرها في زبدة الحلب، إذ أن بغية الطلب اختص بأخبار الشخصيات وتراجيحها، لكنه لم يلتزم بالمنهج الحولي فيه، إلا أنه التزم بالمنهج الحولي في زبدة الحلب وكما دُكر سابقاً.
٥. سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، وقد أفاد منه ابن العديم في توثيق الاخبار التاريخية.

(٣٤) الحموي شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله ياقوت (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)، معجم البلدان، تصحيح: محمد أمين الخانجي، (القاهرة،

مطبعة دار السعادة، ١٩٠٦ م)، ٢٩٧/٣؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٢٩٦.

(٣٥) ابن العديم، بغية الطلب، ٣: ١٢١٨؛ ابن العديم، زبدة الحلب، (مقدمة المحقق)، ١: ٢٠.

٦. أبو الفداء وكتابه، المختصر في أخبار البشر، أفاد منه ابن العديم أيضاً في توثيق الأخبار التاريخية. كما نقل ابن العديم من بعض الحلبيين الذين كتبوا عن تاريخ حلب ومنهم: علي بن عبد الله بن أبي جراد وهو شاعر وله كتاب (تاريخ ملوك حلب) نقل منه ابن العديم بعض المعلومات الخاصة بسقوط الدولة المرداسية والأوضاع الداخلية لمدينة حلب^(٣٦)، وكتب ابن أبي طيء (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، ومنها كتاب (معادن الذهب في تاريخ حلب)^(٣٧).
أما المؤرخون الذين جاءوا بعد ابن العديم ونقلوا عنه فهم:
أبن شداد(ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) في كتابه الأعلاق الخطيرة^(٣٨)، إذ لجأ إليه في تعريف مدن حلب التي تناولها في كتابه^(٣٩)، ونقل عنه أبن الشحنة(ت ٨٩٠هـ/١٤٨٥م) في الدر المنتخب في تاريخ حلب، في ذكر حلب وتسميتها حلب ووصفها بالشهباء، إذ يقول الطباخ الحلبي عن أبن الشحنة في كتابه أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء:
" قال في الباب الثاني من الدر المنتخب: قال كمال الدين بن العديم: قرأت في كتاب الجامع للتاريخ المتضمن ذكر مبتدأ الدول ومنشأ الأمم ومواليد الأنبياء وأوقات بناء المدن وذكر الحوادث مما عني بجمعه أبو النصر يحيى بن جرير الطبيب التكريتي النصرائي من عهد آدم إلى دولة بني مروان..."^(٤٠).
ثانياً_ المتغيرات السياسية بين الموصل وسنجار في عصر الدولة الزنكية.

١_ خضوع سنجار لحكم الأمراء الزنكيين.

لقد ضمن ابن العديم كتابه النصوص الخاصة بسنجار ومنها مواقفها من الموصل بدءاً بأخبار الدولتين السلجوقية والأرتقية وتحديداً في العامين الذين شهدا بدأ الغزو الصليبي على المنطقة العربية، إذ بدأ بذكر انضمام أرسلان تاش صاحب سنجار، إلى حلف مكون من كربوقا صاحب الموصل وعبوره إلى الضفة الغربية من الفرات لقتال الصليبيين واجتماعه بدقاق بن تنش صاحب دمشق وطغتكين^(٤١) وجناح الدولة صاحب حمص وسكمان بن أرتق في العام (٤٩١هـ/١٠٩٨م)^(٤٢). فهذا النص يؤكد وقوف سنجار مع الموصل الى جانب الشام على السواء.

(٣٦) المصدر نفسه، ٢: ٩-٧٠.

(٣٧) المصدر نفسه، (مقدمة المحقق)، ١: ١٣.

(٣٨) المصدر نفسه، (مقدمة المحقق)، ١: ١٣.

(٣٩) أبن شداد، الأعلاق الخطيرة، ١: ٤٦.

(٤٠) الحلبي، أعلام النبلاء، ١: ٨٠.

(٤١) طغتكين: أمير تركماني وأصبح صاحب دمشق، ابن العديم، زبدة الحلب، ٢: ١٢١-١٢٢.

(٤٢) المصدر نفسه، ٢: ١٣٣.

ومما يضيفي أهميةً سياسية على سنجانر هي وقوعها على الطريق بين المدينتين الزنكيتين الكبيرتين الموصل وحلب، فالذي يقصد الموصل من حلب أو حلب من الموصل لا بد له من أن يمر بسنجانر^(٤٣). وفي ضوء كتابه، ونصوصه الخاصة بالدولة الزنكية بدأ بأخبار سنجانر في الحقبة الخاصة بنور الدين محمود في حلب من خلال النص الذي ذكر رجوع صلاح الدين الياغسياني^(٤٤) من حلب الى الموصل من خلال قوله نقلاً عن ابن القلانسي: "وتفرق الناس في فرقتين فأخذ صلاح محمد بن أيوب اليغسياني نور الدين محمود بن أتابك وعسكر الشام ومضوا إلى الشام فملك حلب وحماة ومنبج وحران وحمص وجميع ما بيد أتابك من الشام واستقر به. وسرنا نحن مع الملك وعساكر ديار ربيعة فطلبنا الموصل فوصلنا إلى سنجانر"^(٤٥)، فهي بمثابة الطريق المتوسط بين الموصل شرقاً والجزيرة والشام غرباً، لذلك فقد كان لسنجانر دورٌ كبير في سياسة الدولة الزنكية ويمكن اعتبارها المدينة الرابعة بعد الموصل وحلب ودمشق في أهميتها بين المدن الزنكية، وكان للزنكيين والأيوبيين من بعدهم رغبةً في امتلاكها بعد امتلاك المدن الثلاثة المذكورة، فكلٌ من يمتلك حلب أو دمشق أو كليهما يسعى لامتلاك سنجانر كوسيلة للوصول إلى الموصل، ومن يمتلك الموصل يسعى لامتلاك سنجانر كونها نقطة حماية للموصل وتعزيز قوتها. فبعد وفاة أمير الموصل سيف الدين غازي الأول بن عماد الدين زنكي في العام (٥٤٤هـ / ١١٤٩م) تولى أخوه الأمير قطب الدين مودود حكم الموصل، فيما كان أخوه الأكبر الملك نور الدين محمود يحكم حلب، وقد سعى الاثنان لحكم سنجانر، وكاد النزاع أن يقع بين الأخوين على حكم سنجانر، إذ أن موقف الملك نور الدين محمود في امتلاك سنجانر كان أقوى من موقف قطب الدين لأنه الأكبر أولاً، ولأن ولاء صاحب سنجانر عبد الملك المقدم كان للأمير سيف الدين غازي ومن بعده للملك نور الدين محمود وليس للأمير قطب الدين مودود^(٤٦)، لذلك فقد راسل ابن المقدم الملك نور الدين محمود يطلب منه القدوم إلى سنجانر وامتلاكها، وقد ذكر ابن العديم ذلك من خلال النص الآتي: "وفيمن كاتبه المقدم والد شمس الدين محمد، وكان بسنجانر، فكتب إليه يستدعيه ليتسلم سنجانر. فسار جريداً في سبعين فارساً من امراء دولته فوصل سنجانر مجدداً، في ظاهر البلد، وأرسل إلى المقدم يعلمه بوصوله، فراه الرسول وقد سار على الموصل، وترك ولده شمس الدين بالقلعة، فسير من لحق أباه في الطريق، وأعلمه

(٤٣) المصدر نفسه، ٢: ٢٨٩.

(٤٤) أحد حُجَّاب الأمير عماد الدين زنكي، ابن الاثير، الكامل، ٩: ٢٤٧.

(٤٥) أبو يعلى حمزة ابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، ذيل تاريخ دمشق، (القاهرة، مكتبة المتن، د. ت)، ص ٢٨٦؛ ابن العديم. زبدة الحلب، ٢: ٢٨٩.

(٤٦) وكان سيف الدين غازي قد استخلف عبد الملك المقدم على سنجانر وهو ممن كانوا في خدمة السلطان السلجوقي مسعود، ووُزِّت ابنه شمس الدين من بعده في منصبه أميراً على سنجانر، ابن الاثير، الباهر، ص ٩٧.

بوصول نور الدين، فعاد إلى سنجار، وسلمها إليه، وأرسل إلى قرا أرسلان، صاحب الحصن يستدعيه لمودةً كانت بينهما^(٤٧).

أما في الموصل فقد كان أميرها قطب الدين مودود يستعد لتسلم سنجار بتأييد من وزيره جمال الدين الأصفهاني^(٤٨)، وصاحب قلعته زين الدين كوجك بن بكتكين^(٤٩)، وهذا ما كان لا يروق لعبد الملك المقدم، وقد قال ابن العديم في ذلك: "ولما سمع قطب الدين والوزير جمال الدين، وزين الدين بالموصل، جمعوا العساكر، وعزموا على قصد سنجار وساروا إلى تل أعفر"^(٥٠)، ولكن مكانة الملك نور الدين محمود كانت محفوظة لدى أخيه قطب الدين مودود ومستشاريه، وكذلك مكانة قطب الدين لدى نور الدين، لذلك وبالرغم من طموح الأثنين في الحصول على سنجار إلا أن اتفاقاً تم على امتلاك قطب الدين لسنجار والرجبة^(٥١) والجزيرة كلها باستثناء الرها فهي للملك نور الدين محمود ومعها الشام كله، إذ ذكر ابن العديم ذلك قائلاً: "وسار إلى نور الدين بنفسه، فوفق بينهما على أن يسلم سنجار إلى قطب الدين ويتسلم الرجبة، ويستقل نور الدين بالشام جميعه، وقطب الدين بالجزيرة ما خلا الرها، فإنها لنور الدين"^(٥٢).

فمن خلال هذا النص يتضح أن الحكم الزنكي لسنجار قد ترسخ من خلال هذا الاتفاق أكثر من الماضي منذ رحيل الأمير عماد الدين زنكي مؤسس الدولة الزنكية، لاسيما الموصل فقد أصبحت تابعةً لأميرها قطب الدين مودود ومن بعده لأبنائه وأحفاده.

فبعد وفاة الأمير قطب الدين مودود في العام (٥٦٥هـ/١١٧٠م) أصبحت سنجار تحت حكم ابنه عماد الدين الثاني، ومن بعده أبنائه وأحفاده حتى نهاية الدولة الزنكية^(٥٣).

٢- الخلاف السياسي بين الموصل وسنجار بعد نور الدين وقطب الدين:

(٤٧) زبدة الحلب، ٢: ٢٩٦-٢٩٧.

(٤٨) وزير الأمير عماد الدين زنكي ومن بعده أبنائه سيف الدين غازي وقطب الدين مودود أمراء الموصل، وكان نعم المستشار والوزير، ابن الاثير، الباهر، ص ٨٤-٨٥.

(٤٩) نائب قلعة الموصل في عهد عماد الدين زنكي، المصدر نفسه، ص ٧١.

(٥٠) زبدة الحلب، ٢: ٢٩٧.

(٥١) من أعمال حلب، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر (٥٧١هـ/١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق، بيروت، دار البشير للنشر والتوزيع، د.ت، ٣٢:٢.

(٥٢) زبدة الحلب، ٢: ٢٩٨.

(٥٣) ابن الاثير، الباهر، ص ١٥٤.

بعد وفاة قطب الدين مودود في العام المذكور تسلم حكم الموصل سيف الدين غازي الثاني الأبن الثاني لقطب الدين مودود خلفاً لوالده^(٥٤)، وتسلم حكم سنجان بأمر الملك نور الدين محمود عماد الدين الثاني وهو الأبن الأكبر لقطب الدين مودود، وقال أبن العديم عن ذلك: "فلما اجتمعت العساكر سار إلى سنجان فحصرها، ونصب عليها الخنادق، وفتحها فسلمها إلى عماد الدين زنكي أبن أخيه، وجاءته كتب الأمراء بالموصل يبذلون له الطاعة، ويحثونه على الوصول إليهم، فسار إلى الموصل"^(٥٥)، وقد جرت الأمور بهذا الشكل والتنسيق، لأن الدولة الزنكية كانت تعيش ذروة قوتها في عهد الملك نور الدين محمود وبعد قدومه إلى الموصل والإشراف على حكمها وتنظيم أمورها في العام (٥٦٦هـ/١١٧٠م)^(٥٦). ومن الواضح أن تولية أمير سنجان والموصل من بيت واحد يؤكد على أمرين:

الأول: حرص الملك نور الدين على إبقاء سنجان أيضاً ضمن البيت الزنكي.

الثاني: العلاقة الجغرافية والسياسية بين المدينتين وحاجة كلتاهما إلى الأخرى، والعمل على خلق الانسجام بين المدينتين، وفعلاً تحقق ذلك في عهده، إذ بقيت المدينتين في استقرار سياسي في ظل حكم الملك نور الدين محمود الذي حكم الشام وحلب وأشرف على حكم الموصل، أما بعد وفاته وظهور الأيوبيين إلى الساحة السياسية ونجاح صلاح الدين الأيوبي في الحصول على مكانة نور الدين محمود وقيام الصراع بين الزنكيين بزعمارة سيف الدين غازي والملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود أمير حلب من جهة، والأيوبيين بزعمارة صلاح الدين الأيوبي^(٥٧) من جهة أخرى، فقد أراد أمير الموصل سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود الاستناد إلى أخيه أمير سنجان عماد الدين بن قطب الدين لمساعدته في الوقوف بوجه الزنكيين لكن عماد الدين رفض مساندة أخيه، لسببين:

- ١- لتنصيب سيف الدين أميراً للموصل بدلاً منه بعد وفاة والده قطب الدين.
- ٢- رغبة منه في التعاون مع صلاح الدين الأيوبي ضد أخيه، فمضى سيف الدين في العام (٥٧٠هـ/١١٧٤م) إلى سنجان وحاصرها، وأرسل قواتاً إلى حلب بقيادة أخيه عز الدين مسعود، والتحمت مع القوات الموجودة بحلب، فسارت إلى حماه وهناك وقعت معركة قرون حماء، بين القوات التابعة للدولة الزنكية من الموصل وحلب، والقوات التابعة للدولة الأيوبية الفتية بقيادة صلاح الدين الأيوبي، إذ قال أبن العديم في ذلك: "وأما سيف الدين غازي فإنه جمع عساكره، وكاتب أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجان، لينزل إليه بعساكره ليجتمعاً على نصرته الملك الصالح، فامتنع،

(٥٤) أبن العديم، زبدة الحلب، ٢: ٣٣١.

(٥٥) المصدر نفسه، ٢: ٣٣٢.

(٥٦) أبن الأثير، الباهر، ص ١٥٣.

(٥٧) يوسف بن نجم الدين ايوب بن شاذي، والملقب بصلاح الدين، والمعروف بصلاح الدين الأيوبي، مؤسس الدولة الأيوبية، بماء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم أ بن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة، المؤسسة المصرية للترجمة، ١٩٦٤م)، ص ٦.

وكان الملك الناصر قد كاتبه، وأطمعه في ملك الموصل، لأنه الكبير من أولاد أبيه، فمضى سيف الدين إلى سنجار محاصراً لها، وسير عسكراً كثيراً إلى حلب مع أخيه عز الدين مسعود مع أكبر أمرائه زلفندار، فوصل عز الدين إلى حلب، واجتمعت عساكر حلب معه، وساروا إلى حماه، فقاتلوه^(٥٨).

فمن خلال ما تقدم يتضح لنا ضعف الموقف السياسي للدولة الزنكية بعد وفاة الملك نور الدين محمود، وظهور الخلافات في الأسرة الزنكية لدرجة التعاون من قبل أمير سنجار مع الدولة الأيوبية المنافسة ضد أمير الموصل. ويمكن اعتبار هذه المرحلة هي مرحلة خلاف سياسي طويل الأمد من قبل سنجار ضد الموصل، مما اضطر سيف الدين غازي إلى محاصرة سنجار، لكسر شوكة أميرها عماد الدين، ثم قيامه بعدها بعقد هدنة قصيرة معه لكسبه إلى جانبه ومنعه من التحالف مع صلاح الدين الأيوبي ضده. بعد ذلك تميز موقف صلاح الدين الأيوبي بالتفوق في العام (٥٧١هـ/١١٧٥ م)، فقام بحصار حلب، وبرزت بوادر معركة أخرى في الأفق لتكون حاسمة بين الزنكيين والأيوبيين، يتضح ذلك من خلال النصين الأتيين: "ونزل الملك الناصر على حلب محاصراً لها، وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح"^(٥٩)، "ووصل خبر الكسرة إلى سيف الدين، وهو محاصر سنجار فصالح ((عماد الدين)) على ما بيده، ورحل إلى الموصل، وشرع في جمع العساكر"^(٦٠). فمن خلال هذا النص يتضح لنا موقف سنجار من الموصل طيلة سنوات حكم أميرها عماد الدين الثاني.

وبعد الاستحضارات التي قام بها الجانبين الزنكي والأيوبي وقعت في العام (٥٧١هـ/١١٧٥ م) معركة تل السلطان^(٦١)، وهي معركة غيرت مجريات الأمور ونقلت ميزان القوى من الزنكيين إلى الأيوبيين، أصبحت الشام بعدها تحت حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي فضلاً عن مصر، فيما لم يبق لدى الزنكيين سوى حلب بيد الملك الصالح اسماعيل بن الملك نور الدين محمود والموصل والجزيرة بيد سيف الدين غازي وسنجار بيد عماد الدين بن قطب الدين واستمر الحال حتى العام (٥٧٧هـ/١١٨١ م) إذ توفي سيف الدين غازي أمير الموصل والملك الصالح اسماعيل فأصبح من الضروري الإسراع بتنصيب أميراً على حلب، ولقد أراد أمير سنجار عماد الدين أن يتولى هذا المنصب وأجرى مراسلاته مع أهل حلب لتأييده، لكن الزنكيين لم يرضوا بتنصيبه هو بل تم الإجماع بينهم ومنهم الملك الصالح قبل وفاته على تنصيب عز الدين

(٥٨) أبْن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٢٣.

(٥٩) المصدر نفسه، ٣: ٢٤.

(٦٠) المصدر نفسه، ٣: ٢٤.

(٦١) عرف لاحقاً بتل السلطان لنزول السلطان الب أرسلان عليه، كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله أبْن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، د.ت)، ٤: ١٩٧٧ م؛ أبْن الشحنة، الدر المنتخب، ص ١٣٦.

مسعود بن قطب الدين مودود شقيق سيف الدين غازي لحرصه على مصير الدولة الزنكية^(٦٢)، فتولى عز الدين مسعود حكم حلب^(٦٣)، وقد تم اختياره أميراً على حلب بالرغم من أن الموصل أيضاً كانت تحت حكمه بعد وفاة سيف الدين غازي^(٦٤) لأنه الأجدد والأشجع وموضع ثقة سيف الدين والصالح اسماعيل^(٦٥) بالرغم من محاولات عماد الدين ومراسلاته مع بعض أنصاره لمبايعته أميراً على حلب، ومنهما علم الدين سليمان بن جندر، وحسام الدين طمان، ولكنهما اضطررا لمبايعة عز الدين مسعود لعدم وصول عماد الدين إلى حلب، وقد ذكر ابن العديم ذلك في كتابه من خلال النص الآتي: "وأما علم الدين سليمان بن جندر، وحسام الدين طمان بن غازي، وأهل الحاضر، فإنهم راسلوا ((عماد الدين)) صاحب سنجار، وكتبوا أمرهم و((شاذبخت)) وهو الوالي بالقلعة، والحافظ لخزانتها والمدبر للأمور مع النورية، فسير إلى علم الدين سليمان، وحسام الدين طمان، وطلب منهما الموافقة في اليمين لعز الدين، فماطلا، ودافعا. فلما تأخر وصول ((عماد الدين)) عليهما وافقا على اليمين لعز الدين"^(٦٦). ونتيجة لبسالة عز الدين مسعود فإن السلطان صلاح الدين الأيوبي وبعد أن كان ينوي ضم حلب لرقعة دولته حينما علم بأن عز الدين مسعود أصبح أميراً عليها قال: "لما بلغ ((الملك الناصر)) أخذ عز الدين حلب قال خرجت حلب عن أيدينا ولم يبق لنا فيها طمع"^(٦٧). ولكن تنصيب عز الدين مسعود أميراً على حلب بإجماع الزنكيين لا يعني استقرار الحال في الدولة الزنكية وهدوء الوضع السياسي فيها وذلك لأن عماد الدين لم يقنع بواقع الحال بل استمر بمضايقة عز الدين مسعود لتولييه حلب، وعدم تمكنه هو من تولي حكمها، وقام بمساومة عز الدين مسعود بتسليمه حلب مقابل سنجار وبخلاف ذلك فإنه يسلم سنجار إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، إذ قال ابن العديم في ذلك: "وأقام عز الدين بحلب، فسير إليه أخوه عماد الدين زنكي ابن مودود، وقال ((كيف تختص أنت ببلاد عمي وابنه وبأمواله، دوني. وهذا أمر لا صبر لي عنه)). وطلب منه تسليم حلب إليه وأن يأخذ منه سنجار عوضاً عنها. فامتنع عز الدين، ولم يجبه إلى ما أراد فأرسل إليه وهدهد بأن يسلم

(٦٢) شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسي الشافعي أبو شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق: ابراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ٣ : ٥١ ؛ أبو الفداء (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، المختصر، ٢ : ١٤٥.

(٦٣) وهو شقيق سيف الدين وعماد الدين وهم أبناء قطب الدين مودود، ابن الأثير، الباهر، ص ١٨١.

(٦٤) ابن الاثير، الكامل، ١٠ : ١٠٠ - ١٠١ .

(٦٥) ابن الاثير، الباهر، ص ١٨٢ ؛ أبو شامة، الروضتين، ٣ : ٥١ أبو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ٢ : ١٤٥.

(٦٦) زبدة الحلب، ٣ : ٤٥.

(٦٧) المصدر نفسه، ٣ : ٤٦.

((سنجار)) إلى الملك الناصر فيضايق الموصل بها. فأشار عليه طائفة من الأمراء بأخذ سنجار منه واعطائه حلب. وكان أشد الناس في ذلك ((مجاهد الدين))، وهو الذي كان يتولى تدبيره^(٦٨).

لم يكن الأمير عز الدين مسعود ليسلم حلب لعماد الدين ولكن مشورة أعوانه ولا سيما مجاهد الدين قائماز^(٦٩) بذلك اضطرتّه للنزول إلى مشورتهم، فكانت المقايضة على أن يسلم عز الدين حلب وأعمالها لعماد الدين ويتسلم منه سنجار وأعمالها وكل ذلك تحاشياً من خذلان عماد الدين له، وقال ابن العديم عن عز الدين: "وراسل أخاه ((عماد الدين)) في المقايضة بسنجار، ليتوفر على حفظ بلاده، ويضم بعضها إلى بعض، ولعلمه أنه يحتاج إلى الإقامة بالشام،.. وقدم عليه إخوة. واستقرت المقايضة على ذلك، وتحالفا على أن تكون حلب وأعمالها لعماد الدين و((سنجار)) وأعمالها لعز الدين، وأن كل واحد منهما ينجد صاحبه، وأن يكون طمان مع عماد الدين، فسير ((طمان))، وصعد إلى قلعة حلب، وكان معهم علامة من عز الدين، فتسلمها، وسير عز الدين من تسلم سنجار"^(٧٠).

إلا أن عز الدين مسعود لم يترك حلب بمألاً لإرادته لذلك فقد أراد أن يتركها لصاحب سنجار بعد أن يجعلها خاوية من كل خيراتها، فسيطر على أموالها واسلحتها، وخزائن الملك نور الدين محمود التي كانت فيها، حتى إذا تسلمها صاحب سنجار وجدها ليس كما كان يريد، وقال ابن العديم: "واستولى على جميع الخزائن التي كانت لنور الدين وولده بقلعة حلب، وما كان فيها من السلاح..."^(٧١). وبذلك أراد الأمير عز الدين مسعود تجريد حلب من كل مقومات القوة لعلّيه بعدم قدرة أمير سنجار في الحفاظ عليها، وأبقى فيها ابنه نور الدين أرسلان شاه وهو طفل صغير^(٧٢)، وفوض أمر الطفل إلى الوالي بالقلعة شهاب الدين إسحق وسلم المدينة وقواتها العسكرية لمظفر الدين كوكبوري (٥٦٣-٦٣٠هـ/١١٦٧-١٢٣٢م)^(٧٣) صاحب أربل، وخرج منها في السادس عشر من شوال من العام ٥٧٧هـ/٢١ شباط ١١٨٢م قاصداً

(٦٨) المصدر نفسه، ٣: ٤٧.

(٦٩) عتيق زين الدين كوجك نائب قلعة الموصل، تولى إدارة قلعة الموصل منذ العام (٥٧١هـ/١١٧٦م) وفي عهدي سيف الدين غازي وعز الدين مسعود، ابن الاثير، الباهر، ص ١٧٧.

(٧٠) المصدر نفسه، ٣: ٥٢.

(٧١) المصدر نفسه، ٣: ٥١.

(٧٢) المصدر نفسه، ٣: ٥١.

(٧٣) مظفر الدين بن زين الدين علي بن بكتكين، والده زين الدين كان نائباً لقلعة الموصل في عهود عماد الدين زنكي وأبنيه، سيف الدين غازي الأول وقطب الدين مودود الأول خلال الأعوام (٥٣٩-٥٦٣هـ/١١٤٤-١١٦٨م)، وهو أي كوكبوري كان أميراً لأربل، ابن الأثير، الباهر، ١٣٥-١٣٦.

الرقعة^(٧٤)، أول ما قصد^(٧٥) وربما كان ذلك ليشعر أمير سنجار عماد الدين أنه ترك أبنه الصغير في حلب لأنه لا يجب استقباله فيها وتسليمها له، لأنه ليس كُفأً له.

وحينما سمع السلطان صلاح الدين بامتلاك عماد الدين لحلب استبشر خيراً وشعر بأنها ستصبح بيده قريباً بعد أن يأس منها حينما كانت بيد عز الدين مسعود وكما ذكر سابقاً، وقد نقل ابن العديم قول صلاح الدين حين امتلك عماد الدين حلب من خلال النص الآتي: "ولما بلغ الملك الناصر حديث حلب وأخذ عماد الدين إياها، قال: ((أخذنا والله حلب)). فقيل له: ((كيف قلت في عز الدين لما أخذها خرجت حلب عن أيدينا، وقلت: حين أخذها عماد الدين أخذنا حلب؟)) فقال: ((لأن عز الدين ملكٌ صاحبُ رجالٍ ومال، وعماد الدين، لا مالٍ ولا رجال!))"^(٧٦). وبعد دخول عماد الدين إلى حلب في الثالث عشر من محرم من العام ٥٧٨هـ/ ١٨ أيار ١١٨٢م^(٧٧)، ورأى أن خزائنها خاليةً ندم على مقايضتها بسنجار، إذ ذكر ابن العديم ذلك قائلاً: "حيث وصل ووجد خزائنها صفراً من المال، وقلعتها خاليةً من العدد والسلاح والآلات، وأنه يجاور ((الملك الناصر)) فيها"^(٧٨). حين ذاك أصبح موقف عماد الدين موقف المتخبط الذي ليس له قيمة حاكم أو سياسي وإنما طامع وحاسد لأخيه أمير الموصل وحلب سابقاً، فلم يقنع بحكمه لسنجار، وسأوم أخاه للحصول على حلب كما سبق ذكره، فأخذ يتقرب الفرص لمساومة السلطان صلاح الدين الأيوبي للتنازل عن حلب مقابل إعطائه أراضي أخرى ليست مهمة لديه. ومن الجدير بالذكر أن عماد الدين قام بإجراءات إدارية سريعة كتنصيب والي القلعة والعسكر والخزائن وغيرها، وذكر ابن العديم ذلك قائلاً: "وولّى القلعة ((عبد الصمد بن الحكّاك الموصلية))؛ والعسكر، والخزائن، والنظر في أحوال القلعة إلى مجاهد الدين بزغش. وأنزل ((شاذبخت)) من القلعة. والقضاء، والخطابة، والرئاسة، على ما كان عليه في أيام أخيه وأبن عمه... وولّى الوزارة ((بهاء الدين أبا الفتح نصر بن محمد بن القيسراني)) أخا ((موفق الدين خالد)) -وزير نور الدين-..."^(٧٩). وفعلاً وبعد أن أقتربت حملة السلطان صلاح الدين الأيوبي من حلب في جمادى الأولى من العام نفسه وإقامته حولها ثلاثة أيام أراد عماد الدين نقض عهده مع أمير الموصل وعرض على السلطان صلاح الدين الأيوبي الاستيلاء على سنجار وإعطائها له مقابل تخليه عن

(٧٤) الرقعة : وهي مدينة تقع على نهر الفرات من جانبه الشرقي لذلك تُعدُّ من مدن الجزيرة الفراتية، وتبعد عن حرّان ثلاثة أيام، الحموي، معجم البلدان، ٣: ٦٧.

(٧٥) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ٥١.

(٧٦) المصدر نفسه، ٣: ٥٥.

(٧٧) المصدر نفسه، ٣: ٥٤.

(٧٨) المصدر نفسه، ٣: ٥٧.

(٧٩) المصدر نفسه، ٣: ٥٤.

حلب له، وقال له: " إِمضِ إلى سنجار، وخذها وادفعها إلي، وأنا أُعطيك حلب" ^(٨٠). فمن خلال هذا يتضح أن عماد الدين زنكي صاحب سنجار أسهم بشكل مباشر بضياع حلب من أخيه الأمير عز الدين مسعود أمير الموصل بشكل خاص، ومن الدولة الزنكية بشكل عام، فبعد أن ضعف أمر عماد الدين الثاني أراد أن يستغل حلب ويعود إلى سنجار فأمر أحد أعوانه أن يذهب إلى صلاح الدين و يطلب منه الخابور و سنجار وغيرهما مقابل أن يتنازل له عن حلب، وقد ورد ذلك في النصين الآتيين: " فاخرج إليه، وتحدث معه على أن يعطيني الخابور، و سنجار؛ وأي شيء قدرت على ان ترداده فافعل، واطلب الرقة لنفسك" ^(٨١)، وفعلاً كان السلطان صلاح الدين يريد الحصول على حلب بعد حصوله على دمشق وجاءته الفرصة مواتية من خلال عماد الدين فاتفق مع حسام الدين طمان رسول عماد الدين على أن تُسلم حلب وأعمالها إلى صلاح الدين، مقابل سنجار ومدن أخرى، وقد ورد ذلك في النص الآتي: " إلى أن قرّر مع الملك الناصر أن يأخذ حلب وعملها، ولا يأخذ شيئاً من أموالها، وذخائرها، وجميع ما فيها من الأموال والاسلح ^(٨٢)، وأن يعطي عماد الدين عوضاً عنها: سنجار، والخابور، ونصيبين، وسروج، وأن يكون لطمّان الرقة؛ ويكون مع عماد الدين" ^(٨٣)، وقد كان طمّان هو الوسيط بين عماد الدين والسلطان صلاح الدين سراً وعلناً، إذ قال ابن العديم عن طمّان: "...فكان يبيت كلّ ليلة في داره، خارج المدينة. ويجتمع بالسلطان الملك الناصر خالياً، ويرتب الأمور معه، ويجيء إلى عماد الدين ويقرر الحال معه،....." ^(٨٤). وبالرغم من رغبة عماد الدين في تسليم حلب للسلطان صلاح الدين كان طمّان يُرغبه في ذلك أيضاً، إذ قال له: " أرى من الرأي في حلب أن تسلمها إلى الملك الناصر، بجاهها، وحرمتها،..." ^(٨٥)، ولم يكن الحلبيون يعلموا بشيء عن قرار تسليم حلب من قبل عماد الدين بل كان تسليمها مفاجئاً لهم، ودخلها السلطان صلاح الدين في العام (٥٧٩هـ/١١٨٣م) ^(٨٦). فاستاء الحلبيون من تنازل عماد الدين عن حلب، وقالوا في ذلك شعراً ذكره ابن العديم ومنه :

أحباب قلبي لا تلوموني هذا عمادُ الدين مجنون

(٨٠) المصدر نفسه، ٣: ٥٦.

(٨١) المصدر نفسه، ٣: ٦٦.

(٨٢) لقد ورد في خبر سابق أن الأمير عز الدين مسعود أخذ كلّ أموال حلب وأسلحتها وذخائرها، ولذلك ندم عماد الدين على مقايضتها بسنجار وأراد استعادة سنجار من عز الدين، المصدر نفسه، ٣: ٥١.

(٨٣) المصدر نفسه، ٣: ٦٦.

(٨٤) المصدر نفسه، ٣: ٦٦.

(٨٥) المصدر نفسه، ٣: ٦٥.

(٨٦) المصدر نفسه، ٣: ٦٧.

وبعت بسنجار قلعة حلب عدمتكَ من بايع مشتري^(٨٨).

وباع عماد الدين كل مقتنياته في حلب للسلطان صلاح الدين الأيوبي^(٨٩)، ثم عاد إلى بدايته أميراً لسنجار. وفي العام (١١٨٥/هـ) أضيف إلى أملاك عماد الدين تلعفر أيضاً، بعد أن تمكن السلطان صلاح الدين من السيطرة عليها وإعطائها له، وقد توضح ذلك من خلال النص الآتي: " وافتتح ((تل عفر)) فأعطاهما عماد الدين صاحب سنجار"^(٩٠). ومن الجدير بالذكر أنه ومنذ تولي عماد الدين بن قطب الدين سنجار في العام (٥٧٩/هـ ١١٨٣ م) لم يتولاها أميرٌ زنكيٌ قوي وبقي حكمها متوارث بين أحفاده منذ ذلك الحين وحتى نهاية الدولة الزنكية في العام (٦٣٣/هـ ١٢٣٣)^(٩١)، وقد أثر ذلك على المدينة سلباً وسوف يؤثر عليها في الأيام والأعوام المقبلة.

منذ ذلك الحين كانت الأوضاع السياسية بين الموصل وسنجار مستقرة، بعد أن استقلَّ أمرائهما كلٌّ بما تحت يديه، إلا أن النشاط الجهادي للزنكيين توقَّفَ إذ أن أمراء الموصل انحسروا نفوذهم في الموصل بعيداً عن الشام القريبة من مواقع المواجهة مع الصليبيين، أما عن الولاء السياسي لسنجار فمنذ تولي عماد الدين حكمها استقلت عن الموصل وأصبح ولائها للدولة الأيوبية الفتية، واستمر عماد الدين على نهجه خاضعاً للسلطان صلاح الدين الأيوبي، كما قام بمساندته في جهاده ضد الصليبيين، ففي العام (٥٨٤/هـ ١١٨٨ م) قامت قوات سنجار بالانضمام لقوات السلطان صلاح الدين الأيوبي لشن هجماتٍ ضد الصليبيين^(٩٢).

استمر الوضع السياسي بين الموصل وسنجار مستقرّاً ولم يشهد أيّ خلافٍ أو نشاطٍ سياسي، والحال نفسه بين سنجار والأيوبيين، ففي العام (٥٨٩/هـ ١١٩٣ م) توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي^(٩٣)، وفي العام (٥٩٤/هـ ١١٩٨ م) توفي عماد الدين صاحب سنجار^(٩٤)، فأصبحت أملاك الأول في أيدي إخوته وأبنائه، لذلك فقد تغيّرت سياسية الأيوبيين مع

(٨٧) المصدر نفسه، ٣: ٦٨.

(٨٨) المصدر نفسه، ٣: ٦٨.

(٨٩) المصدر نفسه، ٣: ٦٩-٧٠.

(٩٠) المصدر نفسه، ٣: ٨١.

(٩١) ابن الأثير، الباهر، ص ١٩١.

(٩٢) المصدر نفسه، ٣: ١٠٢؛ جمال الدين مُحمَّد بن سالم جمال الدين مُحمَّد بن سالم أبْن واصل (ت ٦٩٧/هـ ١٢٩٨ م)، مفرج الكروب في اخبار

بني ايوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، (القاهرة، المطبعة الاميرية ١٣٧٦/هـ ١٩٥٧ م)، ٧٢: ٢٥٥.

(٩٣) أبي العباس شمس الدين أحمد بن مُحمَّد بن أبي بكر أبْن خلكان (ت ٦٨١/هـ ١٢٨٢ م)، وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق: إحسان

عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٨/هـ ١٩٧٨ م)، ٧: ٢٠١-٢٠٢.

(٩٤) المصدر نفسه، ٢: ٣٣١.

سنجار، إذ أنه وفي العام (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) ورغبةً من الملك سيف الدين أبي بكر العادل الأيوبي (٥٩٦-٦١٤هـ/١٢٠٠-١٢١٨م) شقيق السلطان صلاح الدين في التقرب من الموصل^(٩٥) فقد سار إلى سنجار وحاصرها بهدف الاستيلاء عليها، حينذاك تدخل مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل وحليف أمراء الموصل^(٩٦) الزنكيين للتوسط بين العادل وقطب الدين بن عماد الدين صاحب سنجار، لكن العادل رفض وساطة الأمير مظفر الدين كوكبوري وقام بشن هجماتٍ على سنجار، وقال ابن العديم عن العادل: " ونزل على سنجار محاصراً لها، وشفع إليه مظفر الدين ابن زين الدين، في صاحب سنجار، فلم يقبل شفاعته... "^(٩٧)، وقال أيضاً في ذلك: " وضايق سنجار وقتلها في شهر جمادى الآخرة "^(٩٨).

ومن الجدير بالذكر أنه وبالرغم من الموقف السلبي لعماد الدين أمير سنجار تجاه اخويه سيف الدين وعز الدين أمير الموصل فإن نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود سارع لنجدة قطب الدين الثاني بن عماد الدين أمير سنجار بعد إغارة العادل الأيوبي على سنجار ومحاولته الاستيلاء عليها، فمنع العادل من الاستيلاء عليها وإبقاها لقطب الدين. وقد استعان بمظفر الدين كوكبوري، والظاهر بن السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي كان يتظاهر بالولاء لعمه العادل ولكنه كان يتعاون مع أمير الموصل نور الدين أرسلان شاه لإنقاذ سنجار وإبقائها لصاحبها الزنكي، وقد ذكر ابن العديم ذلك في النص الآتي: " وقام نور الدين بن عز الدين صاحب الموصل في نصرة ابن عمه صاحبها، واتفق مع ((مظفر الدين))، وتحالفاً، وأفسدا جماعة من عسكر ((الملك العادل))، وراسلاً ((الملك الظاهر))، على أن يعمله السلطان، ويخطبوا له، ويضربوا السكة باسمه. وجعل ((الملك الظاهر)) يداري الجهتين، والرسول تتواتر إليه من البلدان، وهو في الظاهر في طاعة عمه، وعسكره معه، وفي الباطن بالنظر في حفظ سنجار، ومداخلة المواصله، وهو يظهر لعمه أنه متمسكٌ بيمينه له، إلا أن أرسل أخاه ((الملك المؤيد))، ووزيره ((نظام الدين الكاتب)) إلى عمه، معلماً له أن رسول الموصل، ومظفر الدين، وصلاً يطلبان منه الشفاعة إليه، في إطلاق سنجار، وتقرير الأمر إلى حالة يراها..... وتوسط الحال عند قدومه على ان شفع فيهم الملك الظاهر، وأطلق لهم ((سنجار))، واستنزلهم عن ((الخابور)) و((نصيبين)) "^(٩٩). من هذا النص يتضح أن الموصل كانت حريصةً على بقاء سنجار في يد صاحبها الزنكي بالرغم من المواقف السياسية المعاكسة من قبل سنجار تجاه الموصل وكما اتضح ذلك سابقاً.

(٩٥) سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، (بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ص ٢٣٥.

(٩٦) كان لمظفر الدين كوكبوري مكانةً لدى الزنكيين لأن والده كان نائباً لقلعة الموصل كما ذكر سابقاً.

(٩٧) زبدة الحلب، ٣: ١٦٠-١٦١.

(٩٨) المصدر نفسه، ٣: ١٦١.

(٩٩) المصدر نفسه، ٣: ١٦١.

ونظراً لما سبق ذكره وحينما شعر صاحب سنجار قطب الدين الثاني بن عماد الدين برغبة الأمراء الأيوبيين في الحصول على سنجار عاجلاً أم آجلاً فقد اختار التحالف ضدهم، ففي العام (٦١٧هـ/١٢٢٠م) قام بالتحالف مع أحمد بن علي بن مشطوب أحد الأمراء المواليين للأشرف الأيوبي، والذين تمكن أمير أربل مظفر الدين كوكبوري من استمالتهم للتحالف معه ضد الأشرف^(١٠٠) الأيوبي^(١٠١)، وسمح له بالدخول إلى سنجار وإجاره من الأشرف الأيوبي، وقد ورد ذلك في النص الآتي: " وخاف ابن مشطوب، فسار إلى سنجار، فاعترضه والي نصيبين من جهة الملك الأشرف، وقاتله فهزمه، واستباح عسكره، وسار إلى سنجار، فأجاره قطب الدين صاحبها"^(١٠٢). وفي العام نفسه قام الملك الأشرف بأخذ سنجار من صاحبها قطب الدين وإعطائه الرقة عوضاً عنها، وقام بدر الدين لؤلؤ^(١٠٣) (٦٠٧-٦٥٧هـ/١٢١٠-١٢٥٩م) بالاستيلاء على تلعفر، وقد كان لؤلؤ حليفاً للملك الأشرف الأيوبي، وبعد هروب ابن مشطوب من سنجار وقدمه إلى الموصل استجار من الملك الأشرف الأيوبي بلؤلؤ فتظاهر له أنه أجاره، ولكنه أرسله إلى الملك الأشرف، وقد ذكر ابن العديم ذلك في النص الآتي: " ووصل ((الملك الأشرف)) إلى ((سنجار)) وفتحها، وعوض صاحبها ((بالرقة)) عنها، وفتح لؤلؤ ((تلعفر)) وسلمها إلى ((الملك الأشرف))، واستجار ((ابن مشطوب)) بلؤلؤ، فأجاره على حكم الملك الأشرف فيه، وسلمه إلى الملك الأشرف، وقيده في سنجار. وسار الملك الأشرف إلى الموصل ومعه عسكر حلب فأقام مخيماً على ظاهرها، حتى أصلح أمرها مع صاحب ((أربل))، وهادنه"^(١٠٤).

وفي هذا العام أي (٦١٧هـ/١٢٢٠م) انتهى الحكم الزنكي في سنجار وخرج منها آخر أمرائها وهو عمر بن قطب الدين محمد بن عماد الدين، فسيطر عليها الأشرف الأيوبي وأعطى عمر بن محمد الرقة عوضاً عنها فهذا النص يؤكد أن للأشرف رغبة في السيطرة على سنجار، وفي الوقت نفسه اعتقل أحد خصومه فيها فضلاً عن ذلك فقد شقّ الملك الأشرف في سنجار، إذ ذكر ابن العديم ذلك في النص الآتي قائلاً: " وانفصل الملك الأشرف عن الموصل، بعد إصلاح أمورها وشقّ ((سنجار))، وقبض على ((حسام الدين بن خشتين)) - وكان أميراً من أمراء حلب - لغدر بلغة عنه"^(١٠٥).

(١٠٠) موسى بن العادل الأيوبي، ابن واصل، مفرج الكروب، ٤: ٧٠.

(١٠١) ابن الأثير، الكامل، ٣٨٦؛ طقوش، تاريخ الزنكيين، ص ٢٤١.

(١٠٢) ابن العديم، زبدة الحلب، ٣: ١٨٩.

(١٠٣) وهو مملوك لنور الدين أرسلان وهو أرمني الأصل الي تمكن من الوصول إلى السلطة منذ العام (٦٠٧هـ/١٢٠٩م)، وأصبح وصياً على الأمراء الزنكيين الصغار أبنة عز الدين مسعود القاهر وأحفاده، وتمكن من إدارة الدولة الزنكية، ولم يكن ولائه لها ولا لأمرائها لكونه طامعاً في حكم الموصل مستغلاً للظرف السياسي ووفاة آخر الزنكيين الأقوياء نور الدين أرسلان شاه ابن الأثير، الباهر، ص ٢٠٣؛ أبو شامة، الروضتين، ٥: ١٧٣؛ رشيد عبد الله الجميلي، دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ٥٢١-٦٣١هـ، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٧٠م)، ص ١٨٩.

(١٠٤) زبدة الحلب، ٣: ١٨٩.

(١٠٥) المصدر نفسه، ٣: ١٩٠.

فمن خلال النص الآتي يتضح أن بعض الجوانب السياسية تكاد تكون مشتركة بين الموصل وسنجار بعد ضعف الوجود الزنكي في الثانية، منذ عهد عماد الدين بن قطب الدين وحتى انتهاء الحكم الزنكي فيها.

ثالثاً_ الوضع السياسي في سنجار بعد الحكم الزنكي.

لقد تميزت إدارة سنجار في العصر الزنكي بالضعف منذ عهد عماد الدين الثاني بن قطب الدين، ولم تكن المدينة قادرة على الدفاع عن نفسها دون الاستنجاد بالموصل، وبعد انتهاء النفوذ الزنكي فيها أصبحت موضع تنافس بين الأيوبيين وبدر الدين لؤلؤ، بعد أن كان الأيوبيون هم المرشحون لحكمها، إلا أن المستجدات التي ظهرت في البيت الأيوبي حالت بين الملوك الأيوبيين وبين حكم المدينة، ومن ذلك:

١_تباين المواقف السياسية بين الملوك الأيوبيين.

في الوقت الذي انتهى فيه الحكم الزنكي في سنجار، ظهرت تطورات في العلاقات السياسية بين أبناء السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن ذلك حدوث خلاف بين الملكين الأيوبيين المعظم عيسى بن العادل (٦١٤-٦٢٤هـ/١٢١٧-١٢٢٧م) والأشرف موسى أدى إلى لجوء المعظم في العام (٦٢١هـ/١٢٢٤م) إلى إقامة تحالف مع الأمير مظفر الدين كوكبوري وهو من ذوي النفوذ السياسي في الموصل^(١٠٦) يقوم على توجه كوكبوري إلى الموصل وتوجه المعظم إلى حمص لإشغال الأشرف ومنعه عن الظفر بمدينة أخلاط^(١٠٧)، وقد حدث هذا بالفعل، وحدث نزاع بين المعظم والأشرف، وقد أشار ابن العديم إلى ذلك من خلال النصين الآتين: "واتفق مظفر الدين صاحب أربل والملك المعظم صاحب دمشق على أن يخرج هذا إلى جهة الموصل، وهذا إلى جهة حمص، ليشتغل الملك الأشرف عن أخلاط، فسير الملك الأشرف، وطلب طائفة من عسكر حلب ليقم بسنجار، خوفاً من أن يغتالها صاحب أربل"^(١٠٨). ولم يستمر الحال على ما هو عليه فقد استقرت الأمور بين الأشرف والمعظم إذ عفا الأول عن الثاني وعاد إلى سنجار ليشي فيها^(١٠٩)، وهذا يدل على تمسك الأشرف بسنجار لأنها الطريق المؤدي إلى الموصل.

(١٠٦) لقد كان للأمير مظفر الدين كوكبوري كلمة مسموعة لدى أمير الموصل عماد الدين بن نور الدين أرسلان شاه، إذ كان نصيراً له ضد بدر الدين لؤلؤ الذي استولى على الحكم في الموصل واضطهد أبناء وأحفاد نور الدين أرسلان شاه الأمير الزنكي القوي الأخير في الموصل، ابن الأثير، الباهر، ص ١٣٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧: ٢٠٣.

(١٠٧) خلاط أو أخلاط: قصبة أرمنية واحة الخيرات، غزيرة المياه، شديدة البرد، الحموي، معجم البلدان، ٢: ٤٣٥.

(١٠٨) زبدة الحلب، ٣: ١٩٥.

(١٠٩) المصدر نفسه، ٣: ١٩٦.

ومن المستجدات المهمة التي انعكست على الموصل وسنجر انتهاء الدولة الزنكية في العام (٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) إذ قضى بدر الدين لؤلؤ^(١١٠) عليها بعد أن انحصر نفوذها في الموصل واستيلائه على الحكم فيها^(١١١).

٢_ نهاية الدولة الزنكية في الموصل واستيلاء بدر الدين لؤلؤ على الحكم فيها.

بعد استيلاء بدر الدين لؤلؤ على الحكم في الموصل في العام (٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، بدأ موقفه من الأيوبيين يختلف عن السابق، وبدأت بوادر النزاع تظهر بينهما بعد أن تمكن لؤلؤ من تحقيق ما كان يصبو إليه في امتلاك الموصل، ففي العام (٦٣٥هـ / ١٢٣٧م) انتفت حاجته للتحالف مع الأيوبيين، فضلاً عن ظهور الخوارزميين^(١١٢) الذين كان لهم دور واضح في التضيق على الأيوبيين ما أثار سلباً على الجانب الأيوبي، وقال ابن العديم عنهم: "وقصدوا بلاد ((الملك الصالح أيوب))، واغاروا عليها، ونزلوا على حرّان وأجفل أهلها. وخاف ((الملك الصالح))، فاخفى، ثم ظهر ((بسنجار))؛ وحصره ((بدر الدين لؤلؤ)) صاحب الموصل وكان قد ترك ولده ((المغيث)) ((بقلعة حرّان))، فخاف من الخوارزمية، وسار مخفياً نحو ((قلعة جعبر))، فطلبوه ونهبوه ومن معه، وأفلت في شردمة من أعوانه"^(١١٣)، عندئذ أراد الملك الصالح استغلال الخوارزميين القوة الفتية والاستعانة بهم ضد لؤلؤ بعد أن ساءت العلاقات بينهم، فأرسل إلى ابنه المغيث طالباً منه محالفتهم، والقدوم إليه لصدّ لؤلؤ فتم له ذلك، فسار الملك الصالح بالخوارزميين وهزموا عسكر لؤلؤ عن سنجر^(١١٤). أما في العام التالي (٦٣٦هـ / ١٢٣٨م)، فقد تم اتفاق بين الملك الجواد بن مودود بن الملك الكامل والملك الصالح أيوب على أن يعطي الأول إلى الثاني دمشق، مقابل عانة^(١١٥) وسنجر والرقعة وقد تمّ ذلك للصالح، أما الملك الجواد فقد سار إلى الرقة لتسلمها فأخرجه الخوارزمية، فتوجه إلى سنجر، وبعدها إلى عانة، فاستغل لؤلؤ ذلك وتوجه إلى سنجر واستولى عليها في (ربيع الأول من العام ٦٣٧هـ / تشرين الثاني من العام ١٢٣٩م) وبقيت تحت حكمه^(١١٦).

(١١٠) قام بقتل ابن سيده الأمير عز الدين مسعود القاهر ومن ثم قتل الأمير الزنكي الأخير ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود القاهر واستيلائه على الحكم في الموصل في العام (٦٣٠هـ / ١٢٣٣م)، (ابن الأثير، الباهر، ٢٠٣؛ أبو شامة، الروضتين، ٥: ١٧٣).

(١١١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٧: ٢٠٣.

(١١٢) الدولة الخوارزمية: إحدى الدول التركية التي قامت في بلاد ما وراء النهر في العام (٥٢٢هـ / ١١٢٨م) في خوارزم، وتوسعت في الأراضي السلجوقية في خراسان وقضت على دولتهم بعد وفاة السلطان سنجر في العام (٥٥٢هـ / ١١٥٧م)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩:

٤١٥؛ طقوش، تاريخ الزنكيين، ص ٢٤٢.

(١١٣) زبدة الحلب، ٣: ٢٤٢.

(١١٤) المصدر نفسه، ٣: ٢٤٣.

(١١٥) عانة: من أعمال الجزيرة الفراتية، تقع بين هيت والرقعة، وهي مشرفة على الفرات، الحموي، معجم البلدان، ٤: ٨١.

(١١٦) المصدر نفسه، ٣: ٢٤٥.

الخلاصة

لقد اتضح من خلال البحث أن ابن العديم تناول مدينة سنجار في كتابه زبدة الحلب من تاريخ حلب لكونها من مدن الجزيرة الفراتية، وقد بدأ بذكرها تحديداً في الجزين الثاني والثالث من الكتاب لبروز دورها السياسي في الأعوام التي تناولها الجزئين المذكورين لا سيما مواقفها السياسية من الموصل، فهما مدينتان متجاورتان، إذ ظهرت تلك المواقف بشكل خاص خلال حكم الدولتين السلجوقية والزنكية، وقد اتضح من خلال نصوص الكتاب أن المواقف السياسية بين المدينتين تباينت ما بين السلبي والأيجابي تبعاً للحاكم وقوته.

كما اتضح أيضاً أن مدينة سنجار وخلال الحكم الزنكي للموصل حكمت من قبل العائلة الزنكية وتحديداً من قبل الأمير قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي وابنه عماد الدين الثاني وأحفاده، وكانت قوة المدينة ودورها السياسي الملحوظ أيام حكم الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، إذ بلغت الدولة الزنكية في الموصل والشام وما بينهما ذروة قوتها في عهده، ولم يتولى حكمها في عهده سوى أخيه قطب الدين مودود ومن ثم عماد الدين الثاني وحفيده قطب الدين محمد، إلا أنه وبعد وفاة الملك العادل نور الدين بدأ الضعف يظهر في إدارة المدينة ولم يتولى حكمها أميراً زنكياً قوياً حتى نهاية الدولة الزنكية، حين ذاك أصبحت موضع منافسة بين الأيوبيين وبدر الدين لؤلؤ.

مجلة دراسات موصلية / مجلة علمية محكمة
العدد (٦٣) القسم الاول / حزيران ٢٠٢٢ م / ذو القعدة ١٤٤٣ هـ
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الخامس والافتراضي الدولي الثاني
الجزيرة الفراتية تاريخ وحضارة (القرن الأول - السابع الهجري/السابع - الثالث عشر الميلادي)
٢٤-٢٦ شباط ٢٠٢٢

ISSN. 1815-8854